الثقافة والشخصية

-Culture et Personnalité-

تمهيد:

ولقد شهد الاتّجاه النَفسي في الدراسات الأنثروبولوجية ظهورا متميَزا في الربع الثاني من القرن العشرين، مترافقا مع انتشار مدرسة التَحليل النَفسي التي أنشأها " فرويد" واستمد منها الأنثروبولوجيون الكثير من المفاهيم النَفسية، لتحديد العلاقات المتبادلة بين الفرد وثقافته في إطار المنظومة الثقافية- الاجتماعية.

وفي الواقع إنَ الاهتمام بدراسة الإنسان من خلال علاقة الثقافة بالشخصية موجود لدى كل الشعوب على اختلاف أنواعها، سواء في الماضي أو الحاضر، وإن كان معظم الاهتمام موجَه في واقع الأمر إلى الشعوب غير المتعلَمة أو القديمة، خاصة تلك التي خلَفت لنا خصائص مميَزة لها ولشخصيتها من خلال تراثها الثقافي.

فقد لاحظ المؤرخ "هيرودوت" في القرن الرابع قبل الميلاد الفروق الواضحة بين العادات الإغريقية والعادات الفرعونية، وفي القرن الخامس قبل الميلاد قال أبو الطب "أبقراط" أنّ الأوروبيين أكثر شجاعة من الآسيويين، ويرجع ذلك إلى عامل التّشابه والتّجانس الذي يولّد الإهمال والراحة في المجتمعات الآسيوية، وإلى عامل التّنوع الذي يولّد التّحمل والاجتهاد في المجتمعات الأوروبية. إنّ الراحة والإهمال هما غذاء الجبن، أمّا التّحمل والاجتهاد فهما غذاء الشجاعة.

-مدرسة الثقافة والشخصية:

يقصد بها دراسة العلاقة القائمة بين الثقافة عموما وبين شخصية الفرد، وتقوم على فرضية أن تعددية الثقافات ترتبط بتعددية أنماط الشخصية، وأن كل ثقافة تحدد أسلوبا من التصرف المشترك بين مجموع الأفراد المنتمين إلى ثقافة ما، وهذا ما يكسب الثقافة وحدتها ويضفي عليها خصوصيتها بالنسبة للثقافات الأخرى.

أي دراسة العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية، أي مدى تأثير الثقافة في الشخصية، ومدى تأثير الشخصية في الثقافة.

ويقول P. Hammond إنّ الثقافة والشخصية فرع من فروع الأنتروبولوجيا يتخصّص أساسا في دراسة الطرق التي تؤثر بها الجوانب المختلفة للثقافة على الشخصية ونموها، كما يهتم أيضا بدراسة الطرق التي تؤثر بها الشخصية في الثقافة وتطوّرها.

وتعتبر الثقافة والشخصية بمثابة ما يسمى في الدراسات الثقافية الحديثة "الثقافة غير المادية"، وذلك على اعتبار أن الثقافة والشخصية تعني مجموعة القيم والمعايير التي توجه سلوك الفرد.

وتعد المدرسة الأمريكية هي الرائدة في هذا المجال؛ إذ من أبرز العلماء الذين انخرطوا ضمن هذا التيار هناك: الأنتروبولوجي **الأمريكي** "ليزلي هوايت"، الأنتروبولوجي **الأمريكي** "سابير"، الأنتروبولوجيتان الأمريكيتان "روث بيندكت" و"مارغريت ميد"، بالإضافة إلى كل من "رالف لينتون" و "كاردينر"و" سيلجمان" و" مالينوفسكي" و" فرانز بواز" و وغيرهم من الأنتروبولوجيين والباحثين في مختلف فروع العلوم الإنسانية.

ومن خلال كل هؤلاء تكوّن تيار ثقافي وُصف بمدرسة "الثقافة والشخصية" مارس تأثيراً كبيراً على الأنثروبولوجيا الأميركية.

ويمكن القول أنَ موضوع الثقافة والشخصية نال أهميته من خلال تركيز الدراسات والبحوث على فهم القضايا الأساسية التي تتَصل بمفهوم الطابع القومي أو الشخصية القومية National Character. إذ اهتم الباحثون بدراسة الأنماط الثقافية المختلفة للوصول إلى معرفة آثارها على مكوَنات الشخصية القومية التي عرفت فيما بعد باصطلاح الشخصية النموذجية أو النَمطية Model Personality.

إن المسألة الأساسية التي يطرحها باحثو هذه "المدرسة" على أنفسهم هي مسألة الشخصية. وتساءلوا عن آلية التغيير التي تقود أولئك الأفراد، ذوي الطبيعة المتشابهة في البادية إلى اكتساب أنماط مختلفة عن الشخصية التي تتميز بها جماعات معينة. وفرضيتهم الأساسية هي أنه ينبغي على تعددية الثقافات أن ترتبط بتعددية أنماط الشخصية.

أما عن السبب الكامن وراء بروز مدرسة الثقافة والشخصية، فيمكن القول أن دراسة الثقافة كانت قد جرت بشكل مجرد، فالعلاقات القائمة بين الفرد مع ثقافته لم تؤخذ بعين الاعتبار، فالثقافة لا توجد حقيقة بذاتها خارج الأفراد؛ فالناس هم الذين يستنبطون ثقافتهم ويوجدونها، ومن هنا نشأ الاهتمام بدراسة الثقافات مرتبطة بالشخصية.

ويعد " إدوارد سابير " E Sapir (1884-1939) من الأوائل الذين شددوا على العلاقة بين الثقافة والشخصية، حيث رأى أن العناصر الثقافية لا تنتقل كما هي من ثقافة لأخرى بمعزل عن الأفراد.

خلاصة ذلك أنه:

- لا يمكن فهم أي شخص أو شعب فهماً جيداً من دون الأخذ في الاعتبار الثقافة التي نشأ عليها.
- كما لا يمكن فهم أي ثقافة إلا بمعرفة الأفراد الذين ينتمون إليها ويشاركون فيها .

وفي هذا الصدد شبهت "مرغريت ميد" Margaret Mead الصلة بين الفرد والجماعة بالصلة بين الدجاجة والبيضة، فالبيضة لازمة لوجود الدجاجة، وكذلك الدجاجة لازمة لوجود البيضة، ومن العسير أن تعرف أيهما ألزم لوجود الأخرى.

إن رؤية مدرسة الثقافة والشخصية تقلب المنظور الفرويدي، حيث لا يرون أن الليبيدو هو الذي يفسر الثقافة، بل على العكس فإن عُقد الليبيدو يمكن تفسيرها من خلال أصلها الثقافي.

أولا: الثقافة:

1- أقسام الأنتروبولوجيا:

الأنتروبولوجيا حين تدرس الإنسان تتناوله من زاويتين، وهذا ما ذهب إليه Melvia Ember وأيّده فيه معظم العلماء المعاصرين:

الأولى: من حيث كونه جزءا من الطبيعة أو الظواهر الطبيعية التي تسود الكون، وهذه الناحية هي موضوع الأنتروبولوجية الطبيعية (فيزيقية): التي تدرس علاقة الإنسان في نشأته وتطوره بالمجموعات الحيوانية، وكيف انفصل الإنسان عن الأنواع الحيوانية الأخرى، وتعنى بتقسيم الجماعات الإنسانية إلى سلالات بشرية وبيان الأساس الفيزيقي الذي بني عليه ذلك التقسيم، وبيان المقاييس المستخدمة في ذلك التقسيم، وبيان المقاييس المستخدمة في ذلك.

أما الزاوية الثانية : فهي تتناول الإنسان من حيث كونه كائنا حيا ذا عقل وثقافة، وتلك هي الأنتروبولوجيا الثقافية والأنتروبولوجيا الاجتماعية، وهما يدرسان الثقافات والنظم الاجتماعية في المجتمعات البشرية المختلفة في نشأتها وتطورها وانتشارها، ويكتشفان القوانين التي تخضع لها كل تلك الظواهر.

ويعد الأنثروبولوجي البريطاني" **إدوارد تايلور**" Edward Burnett Taylor أول من نحت تعريف علمي للثقافة، وهو الذي يعتبر من طرف الكثير من الباحثين مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة، حيث يقول في كتابه "الثقافة البدائية "(1871):" **الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة، والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع**."

والمعنى المبسط لمفهوم الثقافة هو: طريقة معيشة مجتمع ما ، سواء مجتمع بدائي أو متقدم.

وعلى ذلك فإنّ لكل شعب في الأرض ثقافة، بمعنى أنّ له أنماطا معيّنة من السلوك والتّنظيم الداخلي لحياته، والتّفكير، والمعلومات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتّصال والتفاعل الاجتماعي.

2- عناصر الثقافة:

يلجأ العلماء عند تحليل ثقافة أي شعب من الشعوب إلى العناصر الرئيسية التي تتألف منها تلك الثقافة، وذلك لتسهيل مهمة العلماء في البحث والدراسة.

1.2. العنصر الثقافي: وهو الوحدة الأساسية في الثقافة. وهو العنصر البسيط الذي لا يمكن تحليله إلى عناصر أبسط منه، فالحلة عبارة عن عنصر ثقافي، والسروال أو الجاكيت كذلك، كما تعد قبعة اليهودي عنصرا ثقافيا. ويجب ملاحظة انّ العنصر الثقافي هو حقيقة واقعية، يمكن ملاحظتها حسيا. وقد يكون شيئا، علاقة أو فكرة.

2.2. المركب الثقافي: وهو يتكوّن من عناصر ثقافية ترتبط ببعضها ارتباطا وظيفيا. بمعنى أنّ كل عنصر متداخل مع الآخر، بحيث إذا حذفنا أحد تلك العناصر يختلف المركب الثقافي. مثلا: مركب تعدد الزوجات.

3.2. النظام الثقافي: تتجمّع المركبات الثقافية في صورة نظم وفق موضوعاتها. فمثلا نظام الزواج في المجتمع العربي يتكوّن من عدد كبير من المركبات الثقافية، فمن حيث عدد الزوجات يوجد مركب تعدد الزوجات، ومركب وحدانية الزوجة. ومن حيث نظام السكن بعد الزواج يوجد مركب السكن مع أهل الزوج، ومركب السكن مع أهل الزوجة، ومركب السكن بعيدا عن أهل الزوج والزوجة.

4.2. الأنساق الثقافية: تتجمّع النظم الثقافية والاجتماعية المتشابهة في الموضوع أو الوظيفة أو فيهما معا في نسق واحد، فيوجد النسق الاقتصادي ويوجد النسق العائلي، والنسق السياسي والنسق الديني....

5.2. القطاعات الثقافية: يمكن تجميع كل الانسياق الثقافية في ثلاثة قطاعات كبرى تتكوّن منها الثقافة، وأساس هذا التقسيم هو طبيعة العنصر الثقافي الغالب في كل قطاع.

ويعتمد هذا التقسيم على نظرية "ليزلي وايت" في تحديد مواقع العناصر الثقافية، حيث يحدد "وايت" ثلاثة مواقع هي: ١- الأشياء: وهو ما يعبّر عنه بالقطاع المادي للثقافة.

٢- العلاقات أو خطوط الاتّصال: وهو ما يعبّر عنه بالقطاع الاجتماعي للثقافة.

٣- أشخاص الإنسان: وهو ما يعبّر عنه بالقطاع الفكري الرمزي للثقافة.

كما يتضح لنا أنّ تقسيم الثقافة إلى القطاعات المادية والاجتماعية والفكرية هو تقسيم تنظيمي، ليس إلاّ. إذ أننا في حياتنا اليومية لا نشعر بهذا التقسيم، ولكن يوجد مركبات ثقافية ونظم تتداخل فيها الأفكار والأشياء والعلاقات.

3. مستويات الثقافة:

عندما ندرس مكان الثقافة في حياة الفرد أو حياة الجماعة فإنّه يبدو واضحا أنّ هناك اختلافا واسعا في درجة المشاركة الثقافية. فالفرد يكتسب الثقافة من مجتمعه، ولكنّه لا يحمل كل ما في ذلك المجتمع من عناصر ثقافية.

ويقرّر "رالف لنتون" إنّنا إذا لاحظنا ثقافة أي مجتمع متجانس، نجد أنّه بالإمكان تقسيم محتواها إلى مستويات ثلاثة رئيسية، تعتمد على مدى اشتراك أعضاء المجتمع في المكونات الداخلة في كل منها، هي: العموميات (الشمول الثقافي)، الخصوصيات (والخصوصية الثقافية)، البدائل او المتغيرات (والبديل الثقافي)، وهي متصاحبة ومتكاملة.

1.3. العموميات الثقافية: هي تلك العناصر الثقافية التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، والنظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، أي تطبق عليهم جميعا، وتميزهم كمجتمع وكثقافة عن غيرهم من المجتمعات. وفي الغالب تتعلق تلك العناصر وتلك النظم بالمقومات الأساسية للمجتمع مثل: اللغة، الدين والقيم، طريقة الملبس وطريقة الزواج، نظام المحارم، قانون العقوبات، العادات والتقاليد، الاستجابات العاطفية المختلفة، أنماط السلوك وطرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الواحد.

فالعموميات هي أساس الثقافة، وتمثل الملامح العامة التي تتميز بها الشخصية القومية لكل مجتمع. وهي مركز اهتمام التربية، وإليها تتجه الجهود لنقلها وتبسيطها وتجديدها إن لزم الأمر. وتتمثل فائدتها في: - توحَد النمط الثقافي في المجتمع - تقارب طرق تفكير أفراد المجتمع واتجاهاتهم في الحياة – تكوَن اهتمامات مشتركة وروابط بينهم – تكسبهم روح الجماعة فتؤدي إلى التماسك الاجتماعي.

2.3. الخصوصيات الثقافية: وهي عناصر الثقافة التي يشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع. بمعنى أنها العناصر التي تحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم في المجتمع. فهي العادات والتقاليد والأدوار المختلفة المختصة بمناشط اجتماعية حددها المجتمع في تقسيمه للعمل بين الأفراد. وقد تكون هذه المجموعة مهنية متخصصة، مثال: الخصوصيات الثقافية الخاصة بالمعلمين أو المهندسين أو الأطباء أو غيرهم، وهم يتصرفون فيما بينهم بأنماط سلوكية معينة، وقد تشمل هذه الخصوصيات عناصر تتعلق بالمهارات الأساسية للمهنة والمعرفة اللازمة لإتقانها، كما تشمل أيضا طرق المهنة ونوع العلاقات التي تربط أبناء المهنة الواحدة وتميزهم عن غيرهم من الناس. وقد تكون الخصوصيات مرتبطة بالطبقة الاجتماعية. فالطبقة الأرستقراطية لها سلوكياتها وعاداتها التي تميزها عن الطبقة المتوسطة.

ويشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته. فمثلا: يميل الأطباء إلى استخدام الألفاظ الأجنبية في أحاديثهم اليومية، وكذلك يتميزون بمستوى اجتماعي معين يختلف تماما

عن مستوى معيشة العمال مثلا.

تمثل الخصوصيات جانبا كبيرا من ثقافات المجتمعات المتمدينة وهي في الحقيقة عوامل متفرقة، إذ عن طريقها تصبح لكل جماعة طابع خاص. وعلى طرف النقيض نلاحظ أن العموميات تلعب دورا هاما في تماسك المجتمع وترابطه.

وتتميز الثقافات البدائية بكثرة العموميات، ولذلك نجد أن سلوك أعضائها لا يختلف كثيرا، وكذلك تتميز بتماسكها وترابطها وتضامن أعضائها.

أما المجتمعات المتمدينة تتميز بكثرة الخصوصيات بحيث يضعف التماسك والتضامن، وقد يحدث لسكان شقتين متقابلتين عدة سنوات دون أن يعرف أحدهما اسم الآخر، وهكذا تضعف الرابطة الاجتماعية في المجتمع.

ويجب أن لا ننسى أن الخصوصيات لا تنفي اشتراك أفراد الطبقة أو المهنة عن كل أفراد المجتمع في العموميات التي ناقشناها من قبل.

3.3. البدائل أوالمتغيرات الثقافية: وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين وللفرد الحرية في اختيار إحداها وترك الباقي. فالمسلم مثلا: يستطيع أن يتزوج بنت عمه أو خاله أو حتى فتاة لا تدين بالإسلام (كتابية) ولكن لا يمكنه ذلك من وثنية (مشركة).

وهي من العناصر الثقافية التي تنتمي إلى العموميات فلا تكون مشتركة بين جميع الأفراد ولا تنتمي إلى الخصوصيات، فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحدة أو طبقة اجتماعية واحدة ولكنها عناصر تظهر حديثة وتجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع، وبذلك يمكن الاختيار من بينها وتشمل الأفكار والعادات وأساليب العمل وطرق التفكير وأنواع الاستجابات غير المألوفة بالنسبة لمواقف متشابهة مثال ذلك: ظهور موضة جديدة في الملبس لم تكن معروفة من قبل، أو ظهور طريقة لإعداد الطعام ولم يعرفه الناس من قبل. وهذه المتغيرات قليلة في المجتمعات البدائية وكثيرة في المجتمعات المتقدمة. تتسم هذه البدائل بالقلق والاضطراب إلى أن تتلاشى أو تستقر على وضع وتتحول فيه إلى الخصوصيات أو العموميات الثقافية فهي تمثل العنصر النامي من الثقافة.

ثانيا: الشخصية.

تعتبر الشخصية من أكثر الظواهر النفسية تعقيدا، لذلك احتلت دراستها ودراسة العوامل المؤثّرة في تكوينها مكانة هامة في العلوم الإنسانية، خاصة في ميدان علم النفس والأنثروبولوجيا. وذلك بقصد التعرّف إلى مكوّنات هذه الشخصيّة، وكيفيّة تكيّفها وتفاعلها مع البيئة المحيطة، وبما يتيح نمو الشخصيّة وتطوّرها. وعلى الرغم من الاتفاق على وحدة هذه الشخصيّة وتكاملها كنتاج اجتماعي من جهة، وكمحرّك لتصرّفات الفرد ومواقفه الحياتية

من جهة أخرى، فقد تعدّدت تعريفاتها تبعاً للنظر إليها من جوانب متعدّدة. ذلك أنّ فهم الشخصية يساعد على فهم طبيعة هذا الإنسان وفهم العديد من الأنماط السلوكية وتفسيرها والتعامل معها.

1. تعريف الشخصية:

فالشخصية باختصار هي مجموع الصفات المختلفة التي يتميّز بها الفرد عن غيره.

وتتّفق المعاجم على أنّ للشخصية معنيين أساسيين:

- معنى مجردا عاما: يتناول الشخصية كخاصية مشتركة بين جميع الأفراد بغض النظر عن مظهرهم ومكانتهم الاجتماعية.
- معنى محسوسا خاصا: يتناول الشخصية كخاصية كل فرد في تميّزه عن الآخر، وهي قابلة للتّحديد مكانيا وزمنيا.

ولعلّ أوّل من تطرّق لشخصية الفرد هو الفيلسوف " هيبوقراط " الذي يعتقد أنّ الاختلاف في الشخصيات بين بني البشر يرجع إلى اختلاف نسب ما وصفه بالسوائل الحيوية الأربعة وهي بحسبه: الدم، البلغم، المادة الصفراء والمادة السوداء من مرارة الانسان. أمّا "سيغموند فرويد" فقد حلّل شخصية الأنسان بصراع بين الأنا السفلى والأنا والأنا العليا. وفي الوقت الحالي يعتبر عاملا الوراثة والمجتمع المحيط بالفرد، من أهم العوامل التي تبني شخصية الإنسان.

ويعرف "جيلفورد" الشخصية بأنّها: " ذلك النموذج الذي تتكوّن منه سمات الفرد."

أمّا "برنس" فيعرّفها على أنّها:" المجموع الإجمالي لكل الأمزجة والدوافع والميول والشهوات والغرائز الفطرية والبيولوجية والاتجاهات المكتسبة عن طريق التجربة."

ويعرّف "جوردن ألبوري " الشخصية بأنّها:" التنظيم الديناميكي داخل الفرد لأجهزة النفس التي تقرر الطابع الفريد للشخص في السلوك والتفكير."

أمّا "واطسون" فإنّه يرى أنّ الشخصية هي:"مجموع العادات المحدودة والمستقلة والمكتسبة بالتعلم".

ويعرّفها " أيزنك" بأنّها:" ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حد ما لطباع الفرد ومزاجه وتكوينه العقلي والجسمي والذي يحدّد أساليب توافقه مع بيئته بشكل مميز."

أما <u>الشخصية من وجهة نظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا</u> فهي: أحد الأسس الجوهرية المقيمة للحقيقة الاجتماعية، فالمجتمع يقدم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الأفراد، ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه ومحيطه.

يتفق علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أنّ الشخصية تتكوّن وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وبدون ذلك التفاعل لا يكون للفرد شخصية. كما يتّفقون على أنّها تنظيم يجمع كل من اتجاهات الفرد وافكاره وعاداته ورغباته وكذلك قيمه وتصوّره لنفسه وخطته العامة في حياته.

وترى "مارغريد ميد" Marguerett Mead أنّ الشخصية هي مكتسبة من خلال التنشئة الاجتماعية، وأنّ الفطرة والوراثة ليس لهما دخل في ذلك. ويعتبرها عيسى الشماس انّها الصبغة الثقافية التي تسود مجتمعا ما.

2. أبعاد ومكوّنات الشخصية:

يتفق العلماء على أنّ الوحدات الأولية الرئيسية للشخصية هي:

1.2. النواحي الجسمية: لا يختلف اثنان في أن صحة الجسم وقوة بنيته وتناسق تكوينه، جديرة جميعها في الظروف العادية أن تمنح صاحبها من الثقة والإقدام ما لا يمنحه الضعف والمرض وعدم الاتساق والعاهات على وجه الخصوص من التأثير في نفس صاحبها و صداها فيه.

2.2. النواحي العقلية والمعرفية: إن الذكييستطيع أن يتبيّن بسهولة سير النتائج القريبة والبعيدة لعلمه ويقدّر خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه، والمعلومات المختلفة أي الثقافة العامة.

3.2. النواحي المزاجية: وهي مجموعة الصفات الانفعالية المميزة للفرد، وتظهر في الحالات الوجدانية، الطباع، المشاعر والانفعالات من حيث قوّتها وضعفها، أو ثباتها وتقلّبها ومدى المثيرات التي تثيرها.

ومن الصفات الحديثة للشخصية تصنيف"يونج" الذي يفترض وجود طرازين أساسين هما:

المنطوي : وهو إنسان هادئ، واسع الخيال، ينفر من الناس متخلق، بعيد عن الواقع وتسود نظرته النزعة الذاتية.

المنبسط : وهو إنسان يندمج مع الجماعة ويهتم بالحقائق الموضوعية، ويتكيف بسهولة مع البيئة ويؤثر فيها، حيث أنه يمثل دورا جريئا على مسرح الحياة.

4.2. النواحي الخلقية: ويشمل الصفات الخلقية مثل: التعاون، الأنانية، الصدق، الكذب، الرحمة، العدل، الكرم، النبل إلى غير ذلك مما يدخل في نطاق الاتجاهات النفسية المختلفة.

وطبعا من الضروري أن ننظر من هذه النواحي الأربعة في ضوء البيئة الاجتماعية المنزل، المدرسة، المجتمع والوسط الثقافي العام الذي تتكوّن فيه الشخصية وتنمو.

3. العوامل المؤثرة في الشخصية.

1.3. الوراثية والبيولوجية: يولد الإنسان ببناء نشر تشريحي وفيزيولوجي وعصبي يحدد سلوكه الاجتماعي، وعند هذا الحد نعتبر الوراثة عاملا هاما في التنشئة الاجتماعية.

2.3. الاجتماعية والثقافية: وذلك عند تفاعل الشخص مع غيره وفي المحيط الذي يؤثر به سلوكه وطريقة استجابته للمؤثرات الاجتماعية على وجه التحديد.

3.3. الثقافية: تؤثر الثقافة في الطفل حديث الولادة بدرجة أكبر من البيئة الجغرافية وذلك من خلال الحدود الثقافية والتطور في إعداد التكنولوجيا والاتصال.

4. نظريات الشخصية:

1.4. نظرية الأنماط: إن نظرية الأنماط تعتمد في تصنيفها للأفراد على ارتباط الجوانب الجسمية بالجوانب المزاجية للشخصية، أي ترتكز على محاولة تحديد العلاقة بين السمات الجسمية والنفسية وتصنيف الأفراد تبعا لإحدى هذه الصفات .فهي تنظر للشخصية كنتيجة للدراسات البيولوجية والمفاهيم العصبية ومفاهيم الكيمياء. هذا ما يوضح اعتماد هذه النظريات على الخصائص البيولوجية بصفة خاصة.

وتعتبر نظرية "يونغ" من بين النظريات واسعة الانتشار، حيث قام بتصنيف يرتكز على السمات النفسية، فالشخصية عنده نوعان المنبسط والمنطوي. فالمنبسط هو الذي يتجه نحو الآخرين والعالم الخارجي، والمنطوي هو الذي يكون أكثر اهتماما بنفسه وبعالمه الذاتي.

2.4. نظرية التحليل النفسي: يرى "فرويد" Freud مؤسّس مدرسة التّحليل النفسي أنّ للشخصية ثلاث عناصر رئيسية تتفاعل فيما بينها تفاعلا وثيقا. وأن الشخصية هي محصلة هذا التفاعل، فتوازن هذه العناصر يؤدي إلى تكامل الشخصية وتصارعها أو تغلب إحدى عناصرها على الآخرين يؤدي إلى اختلال واعتلال الصحة النفسية. وتتمثل مكونات الشخصية في الهو ça، الأنا Moi، والأنا الأعلى Sur moi.

3.4. نظرية السمات: السمة هي الصفة التي تمكّننا من أن نفرّق على أساسها بين شخص وآخر. وقد تكون السمة استعدادا فطريا كالسمات المزاجية مثل الانفعال، وقد تكون السمة مكتسبة كالسمات الاجتماعية مثل الأمانة أو الخداع والميول والاتجاهات .وتشكل هذه الاستعدادات عند أصحاب نظرية السمات، أهم مكونات الشخصية .فلقد عرفها

" جيلفورد " على أنها جانب يمكن تمييزه وذو دوام نسبي وعلى أساسه يختلف الفرد عن غيره".

ويعرف "حلمي المليجي" السمة بأنها استعدادا عام أو نزعة عامة تطبع سلوك الفرد بطابع خاص وتشكله وتكوّنه وتحدّد نوعه وكيفيته.

ولقد قسم كل من ألبورت، كاتل، جيلفورد، أيزنك وبيرت السمات إلى ما يلي:

أ- السمات الجسمية: والمتمثلة في القامة، القوة، الصحة، الجمال، تناسب تقاسيم الجسم.

ب- السمات الحركية: وتشمل سرعة الحركة وبطئها، الاندفاع أو القدرة على الكف، المهارة، أسلوب الحركة.

ج- السمات العقلية: وتشمل القدرة على التعليم والتذكر وسلامة الحكم والمقدرة على التكيف والتخيل الإبداعي

د- السمات المزاجية: ويقصد بها قوة الانفعال ودرجة تغيرها والحالة المزاجية المتغلبة والاتجاه الانفعالي العام.

هـ- السمات الاجتماعية: القابلية للتأثير بالعوامل الاجتماعية والقابلية للاندماج الاجتماعي، التعدي على الغير، الاشتراك الفعال في النشاط الاجتماعي، العواطف والميول النفسية من انطواء وانبساط.

و- السمات الخلقية: الاتجاه العام في تقدير القيم، الصفات الخلقية كالصدق، الكذب، الأمانة والخداع.

فجميع هذه السمات تتحدد في كل متكامل كما وكيفا لتكون الشخصية على حسب ألبورت.

إن لكل شخصية نمط فريد من السمات، وأن هذه الأخيرة تقوم بدور رئيسي في تحديد أنماط سلوكية عامة ثابتة نسبيا، وتصدر عن الفرد في مواقف كثيرة وتعبر عن توافقه مع البيئة. ولا يمكن ملاحظة السمات مباشرة ولكن يستدل على وجودها من ملاحظة سلوك الفرد خلال فترة من الزمن.

يرى عاطف وصفي في كتابه الثقافة والشخصية، أن السمة تكون في حكم الاستعداد الذي لا يبرز ولا ينشط إلا إذا كانت ظروف إبرازه وتنشيطه محققة، وبما أن أهم الظروف التي تؤثر في الاستجابات السلوكية هي المواقف الاجتماعية، وبما أن هذه تتنوع وتتغير، فلابد إذن من تجنب السرعة والتعميم في تحديد سمات لشخصية.

4.4. التفسير الأنثروبولوجي للشخصية: إنّ التصوّر الأنثروبولوجي للشخصية ينطلق من فكرة التفاعلات بين الأفراد، ويعتبرون أنّ الثقافة مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى أي شخصية. فالثقافة تعتبر الإطار الأساسي الذي تنمو فيه الشخصية وتترعرع فيه، فهي التي تؤثّر في أفكار الفرد ومعتقداته ومهاراته وبراءته ودوافعه وطريقة التّعبير عن انفعالاته، كما تحدّد له القيم والمعايير التي يسترشد بها. كما أنّ الشخصية هي مرآة تعكس الصورة الثقافية للمجتمع، وأنه لا نستطيع فصل عنصر الثقافة عن مكوّنات أي نمط من أنماط الشخصية، فهي تتشكّل من مجمل العناصر الثقافية التي يكتسبها الفرد بفعل تفاعله واتّصاله ببيئته، بحيث تعتبر عملية تكوين الشخصية عملية يتم فيها صهر العناصر الثقافية المكتسبة مع صفاته التّكوينية الوراثية لتشكل معا وحدة وظيفية متكاملة.

فـ " سابير " Sapir يرى أنّ الثقافة تؤثر تأثيرا عميقا في تفكير عمل المجموعة بكاملها وتترسّخ بعض أشكال السلوك الاجتماعي في بعض الأنماط الشخصية.أمّا "عيسى الشماس" فإنّه يقول في كتابه "مدخل إلى علم الإنسان" أنّه لا يمكن أن نفهم أي شخص فهما جيدا من دون الأخذ بعين الاعتبار النماذج الثقافية التي نشأ عليها.

فالشخصية على حسب هذا الاتجاه هي نتيجة الاحتكاك المستمر بالمحيط الاجتماعي والثقافي والتفاعل مع مختلف وقائعه وما يخلفه من آثار على نمو الشخصية، فإنّها حصيلة تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها.

ومن أنصار هذا الاتجاه كل من الأنثروبولوجيين "روث بندكت"،"رالف لينتون"،"مارجريد ميد"، "كاردينز" وآخرون، والذين يعتبرون أنّ الشخصية هي نتاج ثقافي، فهم يعتبرون البيئة هي العامل الأساسي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك.

نستخلص من كل هذه التعاريف والنّظريات أنّ الشخصية هي وحدة ذات تنظيم معقد ومتكامل ودينامي لمجموع من الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والأخلاقية والاجتماعية للفرد والتي قد تميّزه عن غيره من الأفراد، أمّا نمو هذه الشخصية وتطوّرها ونضجها فإنّه يخضع لعمليات ارتقائية تنسجم ومراحل النّضج العضوي والعقلي والانفعالي والاجتماعي الذي يصاحب الإنسان وفقا لمتطلبات المجتمع من خلال مراحل عملية التنشئة الاجتماعية والتّطبع الاجتماعي.

ثالثا: الثقافة والشخصية

وضمن هذا الاتّجاه يمكننا الوقوف على الدراسات التالية:

1. دراسة" برونسلاف مالينوفسكي:

تعد دراسة "مالينوفسكي" من الدراسات المبكرة في مجال الثقافة والشخصية، وكان الهدف منها هو دراسة واختبار النظرية الفرويدية في التحليل النفسي على المجتمعات ذات الثقافة المغايرة والمختلفة عن الثقافة الغربية.

ويدور تصوّر مدرسة التحليل النفسي لعملية تأثير مرحلة الطفولة على الشخصية حول عقدة أوديب، ولقد فحص "مالينوفسكي" هذه النظرية في ضوء دراسته الإثنوغرافية لسكان جزر "تروبوياند"، وبدأ دراسته بوضع السؤال التالي: هل ننظر إلى عقدة أوديب كما حددها فرويد على أنها ظاهرة إنسانية عالمية توجد في كل الثقافات أو على أنها من نتاج شكل معين لنظم الأسرة ؟

لقد أوضح "مالينوفسكي" أنها لا توجد في مجتمع " جزر التروبرياند." فقد كان مجتمع " التروبرياند " أمومي النَسب (Matrilineal). فعقدة أوديب تفترض العداء بين الابن والأب، بينما في المجموعات البدائية التي تعيش على أساس النسب الأموي يجد "مالينوفسكي" عداء الأبناء موجه إلى الخال. وفي هذه المجتمعات يصبح الخال الأب الاجتماعي. ومن ثم تسقط أسس نظرية "فرويد"، لأن العداء عند "فرويد" مرتبط بالجنس، ولا توجد مثل هذه العلاقة بين الأم والخال، وبالتالي لا يمكن تطبيقها على المجتمعات غير الأوروبية.

وبهذا يكون " مالينوفسكي" ومن نهج نهجه قد قلبوا المنظور الفرويدي، حيث لا يرون أنّ الليبيدو هو الذي يفسّر الثقافة، بل على العكس من ذلك، فإنّ عقد الليبيدو يمكن تفسيرها من خلال أصلها الثقافي. بمعنى أنّ المجتمع المنحل والإباحي، يساعد تفشي الرذيلة واستباحة الشهوات.

2. دراسة "مارغريت ميد":

وجهت "**مارغريت ميد**" (Margaret Mead أبحاثها حول الكيفية التي يتلقى بها الفرد ثقافته ونتائج ذلك على تكوين شخصيته، ومن أبرز أبحاثها في هذا المجال: بحث أجري على ثلاث مجتمعات في غينيا الجديدة وهم : الأرابيش– المونديقومور – الشنبيلي–

إن الشخصية الذكرية أو الأنثوية التي نرى بأنها عالمية بسبب نظامها البيولوجي، لا توجد بنفس الكيفية، وذلك لارتباط كل مجتمع بنسق ثقافي معين في التربية. فمثلا في" المجتمع الأول: الأرابيش كل شيء يظهر عندهم في الطفولة لبناء رجل وامرأة المستقبل كي يصبح كائنا هادئا، حساسا، حدوما (لا يفرقون بين الذكور والإناث على مستوى تكوين الشخصية)، بينما المجتمع الثاني: المونديقومور النظام (النسق) التربوي يدفع إلى التنافس الذي

يصل إلى النزعة العدوانية سواء عند الذكور أو الإناث أو فيما بينهم.

ففي النموذج الأول الأطفال مدللون– Choyés– ليس بينهم تمييز، أما في الثاني فقد تربوا بصعوبة لأنّه لم يكن مرغوبا فيهم مهما كان جنسهم (ذكورا أم إناثا)."

هذان المجتمعان أنتجا من خلال مناهجهما الثقافية نمطين من الشخصية المتناقضة، وبالمقابل لهما نقطة مشتركة: لا يفرقان بين السيكولوجية الأنثوية والسيكولوجية الذكورية، بينما نجد العكس عند المجتمع الثالث "الشمبيلي" يفكر مثلنا، ويرى بأن الجنسين يختلفان عن بعضهما من الناحية النفسية، فهم واثقون بأن طبيعة المرأة : النشاط مع غيرها من النساء، فهي ملتزمة ومنبسطة. أما الرجل: حساس، أقل ثقة بنفسه، بسهولة يغار عمن يشبهه، مهتم كثيرا بمظهره. كما أن النساء يمتلكن السلطة الاقتصادية التي تؤمن العيش الضروري للمجموعة، بينما الرجال يكرسون نشاطاتهم الاحتفالية والجمالية التي تجعلهم دائما في تنافس مع بعضهم البعض."

إنّ المحور الخاص بمدى التمييز بين الذكور والإناث في دراستنا الميدانية يعكس اختلاف النقل الثقافي بين مناطق الجزائر. سوف نتطرق إلى ذلك لاحقا وبالتفصيل في الدراسة الميدانية لنرى مدى تناسب نظرية مارغريت ميد مع معطياتنا الميدانية.

3. دراسة "روث بنديكت":

لعلَ من الممارسات التَطبيقية للعالمة " بنديكت " في الأنتربولوجيا النَفسية، هي دراستها التي قامت بها عن الثقافة والشخصية على ثلاثة قبائل: قبائل "زوني Zuni" في الجنوب الغربي بالولايات المتحدة، وهو شعب محافظ ومسالم ومتضامن بقوّة مع بعضه بشكل عميق، كما يحترم الآخرين، وهو معتدل في التّعبير عن مشاعره، ويمتاز أعضاؤه بالهدوء والوداعة والتآلف. وجيراهم من قبائل" كواكيوتل" Kwakiutl في الشمال الغربي من كندا، كنموذج من "هنود البلين" (Indiens Plaines)، وهو شعب طموح، فردي، عدواني، بل وعنيف، ويميل إلى التميّز بالعاطفة الجياشة، وغير متحكمين في مشاعرهم، وهم يمتازون بالتطرًف والنزوع إلى الانفرادية والميل إلى التنافس." وقبائل "دوبو Dobu " الماليزية، وهم مشهورون بالتّشكك والارتياب والميل إلى المشاحنات والمنازعات والعدوانية.

وقد لاحظت "بندكت" أنَ ثقافات تلك القبائل طبعت حامليها بسمات معينة واستخدمت "بندكت" في مقارنتها بين تلك الثقافات وتأثيرها على الشخصية مفهومين هما: الأسلوب "الديونيزي" والأسلوب "الأبولوني". وبيّنت أنّ ثقافات أخرى ترتبط بهذين الأسلوبين (النموذجين)، وبينهما أنماط وسيطة. وهما مصطلحان يشيران إلى نمطين مختلفين من أنماط الشخصية. فالشخصية الديونيزية أو ذات الأسلوب الديونيزي هي شخصية تتسم بالعنف والرغبة في تحطيم القيود والدخول في تجارب انفعالية عالية ومتطرًفة مثلما في حالة السكر، وهذا هو طريق أصحابها للوصول إلى أكثر اللحظات قيمة في الوجود. أمَا الشخصية الأبولونية أي صاحبة الأسلوب الأبولوني

فهي تبتعد عن العنف والإفراط، وهي متزنة انفعاليا، ولا تفقد وعيها عن طريق السكر، ولا تدخل في تجارب نفسية عميقة ممزّقة.

وقد لاحظت "بنديكت" أنَ اتّجاهات معظم قبائل الهنود الحمر نحو الحياة تقترب من الأسلوب الديونيزي الذي وجدته سائدا بين قبائل الكواكتيل، في حين أنّ نمط الشخصية الأبولونية وجدته سائدا في ثقافة الزوني، وبيَنت بذلك كيف تؤثر الثقافة في شخصية حامليها، وكيف أدى هذا التّأثير إلى وجود نمطين مختلفين تماما من الشخصية الديونيزية والشخصية الأبونية.

4. دراسة "رالف لينتون":

يرى الأنتروبولوجيون المنتمون إلى مدرسة "الثقافة والشخصية" أنه لا يمكن تحديد الثقافة إلى من خلال البشر الذين يعيشونها. صحيح أنّ الفرد والثقافة يشكلان واقعين متمايزين لكن لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض ويؤثر أحدهما على الآخر، كما لا يمكن فهم أحدهما إلا في علاقته بالآخر.

لكن الأنتروبولوجيون لا يتوقفون إلاّ عند ما هو مشترك في نفس الفرد بين أعضاء الجماعة نفسها. هذا المظهر المشترك في الشخصية يسميه "رالف لينتون" الشخصية الأساسية" وهو يرى أنها تتحدد مباشرة بالثقافة التي ينتمي إليها الفرد.

وفي تطويره لأبحاث "بينديكت" و"ميد" رأى "لينتون" من خلال استطلاعاته المبدئية في جزر "ماركينز" و"مدغشقر"، أنّ كل ثقافة تفضّل من كل الأنماط الممكنة، نمط الشخصية التي تصبح عندها "عاديا"، أي متّفقا مع المعيار الثقافي، وبالتّالي معترف به بأنّه نمط عادي. هذا النّمط العادي هو "الشخصية الأساسية". بمعنى آخر، هو" الأساس الثقافي للشخصية " (وفقا للعبارة التي ستتحوّل في عام 1945 إلى عنوان لأحد كتبه).

فـ "رالف لينتون" يرى أنَ:"كل فرد يكتسب هذه الشخصية من خلال منظومة التربية الخاصة بمجتمعه".

ولقد سعى "لينتون" لتجاوز المفهوم الجامد للشخصية الأساسية. وكان يأخذ على "بينديكت" الاختزال الذي كانت تقوم به من خلال ربطها الثقافة بنمط ثقافي واحد يرتبط بنمط سلوكي مهيمن. ويؤمن أنّ الثقافة الواحدة من شأنها أن تتضمّن في الوقت نفسه عدة "أنماط" عادية من الثقافة، لأنّ عدة منظومات قيمية تتعايش في عدد من الثقافات. ثم ينبغي النظر بعين الاعتبار، كما يقول "لينتون"، إلى تنوّع القوانين في كنف المجتمع الواحد. والفرد غير قادر على أنّ يجمع كل الثقافة التي ينتمي إليها، ولا يملك معرفة تامة بثقافته. كما أنّه لا يعرف من ثقافته إلا ما هو ضروري له لكي يتوافق مع قوانينها (الجنس، العمر، الوضع الاجتماعي... الخ) ليقوم بأدوار اجتماعية تنتج عنها. ووجود قوانين مختلفة، يقود في نهاية الأمر إلى هذه التّنوعات الدالة إلى حد ما، على الشخصية الأساسية وهي الشخصيات القانونية. (لينتون، 1945).

وتابع "لينتون" تفكيره حول الفعل المتبادل بين الثقافة والفرد، قائلا بأنّ الفرد ليس مستودعا سلبيا لثقافته.

1- الشخصية الأساسية: وهي تعتبر الصورة العامة للشخصية التي يشارك فيها المجموع العام من أفراد المجتمع، نتيجة الخبرات والتجارب الاجتماعية الأولى التي مروا منها جميعا، والتي تمكّنهم من الاستجابة الموحدة اتّجاه الأوضاع والأحداث، فهي شخصية معنوية تعبّر عن مجموع السمات العامة والمشتركة بين كل أفراد المجتمع.

سادسا:" أبرام كاردينر" Abram Kardiner ونظرية البناء الأساسي للشخصية: (1891- 1981).

شكّل موضوع اكتساب الشخصية الأساسية من خلال التربية، معظم الأبحاث النّوعية التي أجراها المحلّل النفساني والانتروبولوجي المؤهّل "أبرام كاردينر" Abram Kardiner، الذي تعاون بشكل وثيق مع "لينتون ".

ولقد درس كيفية تكوّن الشخصية الأساسية عند الفرد عبر ما يسميه "المؤسسات الأولية" الخاصة بكل مجتمع (وأوّلها العائلة والمنظومة التربوية) وكيفية تأثير هذه الشخصية على ثقافة الجماعة عبر إنتاجها — عن طريق نوع من آلية الإسقاط) "مؤسسات ثانوية" (منظومات قيم ومعتقدات على وجه الخصوص) تخص الإحباطات التي تسبّبها المؤسّسات الأولية التي تؤدي إلى تكوّن الثقافة بشكل ملموس (كاردينر، 1939).

وأضاف "كاردينر" قائلا - حول الفعل المتبادل بين الثقافة والفرد- بأنّ الفرد ليس مستودعا سلبيا لثقافته.

ويعرّف " كاردينر" "الشخصية الأساسية" على النحو التالي:" هي تمظهر سيكولوجي خاص يتعلّق بأفراد مجتمع معيّن، ويتبدّى في أسلوب معيّن من السلوك الذي ينمّق الأفراد وتنوّعاتهم (اختلافاتهم) بمقتضاه." (1939).

إنّ أي فرد كان، ولأنه فرد فريد في حد ذاته وله سماته الخاصة به - حتى لو كانت تلك السمات تتضمّن الشخصية الأساسية إلى حد ما- ويتمتّع بقابلية أساسية- باعتباره كائنا إنسانا- على الابتكار، سيشارك (الفرد) في تغيير ثقافته بشكل لا يبدو في أغلب الأحيان ملحوظا، كما يشارك بعدها في تغيير الشخصية الأساسية. بعبارة أخرى، لكل فرد طبيعته الخاصة في فهم وعيش ثقافته مع بقائه مطبوعا بطابعها.

إنّ تراكم التّنوعات أو الاختلافات الفردية، بدءا بالموضوع المشترك الذي يكوّن الشخصية الأساسية، يسمح بتفسير التّطور الداخلي لثقافة معينة، وغالبا ما يتم هذا التّطور وفق إيقاع بطيء.

ويعرّف "كاردينر" الشخصية كذلك بأنّها تتحدّد من خلال النّظم الأولية والتي تتمثّل في الأسرة، والمعايير والتّقاليد والتربية وهي تحدّد بدورها، المؤسّسات الثانوية كالدين، ونظام القيم ،بحيث تحدّد بدورها تفاعل الفرد مع المجتمع.[1]

فإنّ النّظم الأولية تلعب دورا جوهريا في تشكيل البناء الأساسي للشخصية وتمثّل تلك النّظم الوسائل التي تستخدمها الثقافة في التّأثير على الشخصية. وبعد أن يتكوّن البناء الأساسي للشخصية، يقوم هذا البناء بدور فعّال بالتّأثير على الثقافة عن طريق النّظم الثانوية ويحدّدها على أنّها الأداة الشعبية والطقوس الدينية.[2]

ويرى صاحب نظرية البناء الأساسي للشخصية "كاردينر" أنّ أفراد المجتمع يشتركون في سمات معينة للشخصية وأطلق على تلك السمات المشتركة البناء الأساسي للشخصية وعرفها بأنّها الأدوار الفعالة المتكيفة عند الفرد .

---

[1] - Jean Claude Filloux, La personnalité-Edition Delta PUF. Que sais je, 1957, P63.

[2]- عاطف وصفي، المرجع السابق، ص158.

ويعطي "كاردينر" أهمية كبرى لمرحلة الطفولة المبكرة وما يتضمّنها من أنماط ثقافية في تشكيل البناء الأساسي للشخصية، ففي كل مجتمع توجد نظم تربوية يطبّقها الآباء في تربية أطفالهم في مرحلة الطفولة رغم أنّه يوجد اختلافات فردية في تطبيق تلك النّظم .[3]

إنّ " كاردينر" يعتبر العلاقات بين الطفل ووالديه من بين العوامل المؤثّرة في تكوين شخصيته، وأنّ أسلوب ثقافة التربية عامل أساسي في تحديد الشخصية.

ويؤكد "كاردينر" أنّ هناك أنماط عامة تمثّل أكثر حالات السلوك تكرارا مثل نظم الرضاعة، والفطام، ونظام الثواب والعقاب ،ونظام التّدليل وما إلى ذلك، من نظم خاصة بمراحل الطفولة، فإنّ فعالية النّظم الاجتماعية والثقافية في هذه المرحلة تعتبر كعوامل حاسمة في تكوين شخصية الفرد.[4]

فـ "كاردينار" يعرّف الشخصية على أنّها نسق دافعي إسقاطي يحدّد أساسا من خلال خصائص الموقف الطفلي للفرد.[5]

إنّ مختلف الاعتبارات السابقة تبيّن عدم إمكانية خلط النتائج التي توصل إليها كل من "لينتون" و" كاردينر" حول الشخصية الأساسية بالنّظريات الرومانتيكية حول "روح" الشعوب و"عبقريتها ".

ولا يعني انطلاق الأنتروبولوجيون الأمريكيون من التّساؤل الذي بدأ به الكتّاب والفلاسفة الألمان على وجه الخصوص، حول الطابع الأساسي لكل شعب، لا يعني مع ذلك، أنّهم يقدمون الأجوبة نفسها. إذ أنّ لدى كل من " لينتون"و" كاردينار" مفهوما مرنا حول الانتقال الثقافي الذي تحل التّنوعات الفردية محلّه، بالإضافة إلى كونه لا يهمل مسألة التغيّر الثقافي. وبالتّالي فإنّ مقاربتهما للثقافة وللشخصية هي مقاربة ديناميكية أكثر منها سكونية.

سابعا: "روبرت إيدجارتون" (Robert Edgerton):

قام "روبرت إيدجارتون" (Robert Edgerton) بدراسة أربعة قبائل إفريقية، وكانت تنقسم من حيث العمل إلى رعاة ومزارعين. وقد وجد اختلافات في الشخصية ليس بين القبائل فحسب، وإنّما بين المزارعين والرَعاة. فقد أثبت أنَ الرَعاة يميلون إلى الفردية بينما المزارعين يرجعون إلى الجماعة لاستشارتها في اتّخاذ القرارات.

وقد استنتج "ايدجارتون" أنَه في حالة الاعتماد الاقتصادي على الرَعي فإنَ المجتمع يستطيع أن يحقَق الشخصية المستقلة للذكور كسمة من سمات الشخصية، أو بمعنى آخر فإنَ الرَعاة يتَصفون باستقلال ذاتي كسمة من سمات شخصياتهم.

---

[3]– عاطف وصفي، المرجع السابق، ص157.

[4]– سامية ساعاتي، المرجع نفسه، ص244.

[5]– علي عبد الرزاق جلبي، المرجع السابق، ص255.

وبالتالي لا يمكن تفسير الشخصية الفردية بخواصها البيولوجية (كالجنس على سبيل المثال) بل بـ" النموذج الثقافي " الخاص بمجتمع معين، يحدَد تربية الطفل، بدءا من اللحظات الأولى يتشبع الفرد بهذا النموذج عن طريق منظومة من المحرَضات والممنوعات المصاغة بشكل صريح أو غير صريح، تقوده بعد أن يصبح راشدا، للتقيَد بشكل لاواع بالمبادئ الاساسية للثقافة. وبالتالي هناك علاقة بين النموذج الثقافي ومنهج التربية ونمط الشخصية المهيمن.

تاسعا: في عام 1954م، هاجمت السفن الأمريكية جزيرة "أوكيناوا "Okinawa اليابانية، وقصفت الجزيرة بأطنان من القنابل والنيران لتذوّب الصخور وتدمّر المغارات والكهوف التي كانت الملاذ الأخير للجنود اليابانيين وللسكان الأصليين، فرارا من الموت وفظائع الحرب وويلاتها. وبعد ثلاثة أشهر من القصف المركّز، دخلت القوات الأمريكية الجزيرة، واشتغل علماء النّفس بدراسة أوضاع أسرى الحرب، وكانت دهشتهم كبيرة جدا عندما لاحظوا الفرق الكبير في مستوى الاضطرابات النفسية بين الجنود اليابانيين وبين السكان الأصليين للجزيرة. كان الجنود يعانون حالات عصبية مرضية، واضطرابات انفعالية شديدة بدرجة أكبر بكثير من السكان الأصليين للجزيرة– علما أنّ الجنود اليابانيين كانوا من الرجال الأشداء والبواسل، ومن رجال الوحدات الخاصة الذين أعدّوا لشدائد الأيام.

لقد أبدى سكان الجزيرة المدنيون من شيوخ ونساء وأطفال قدرة هائلة على تحمّل ظروف المعركة ومحنتها، وبدرجة أكبر من الجنود.

وانهمك علماء النّفس والتربية في هذه الوضعية، لمعرفة الاسباب الحقيقية التي جعلت من السكان الاصليين المدنيين أكثر تحمّلا للصدمة من العسكريين، وكانت الفرضية الاساسية التي لجأوا إليها هي أنّ هذه الفروق تعود إلى اسلوب التنشئة الاجتماعية السّائد عند السكان الأصليين للجزيرة، حيث لاحظ علماء النّفس أنه يتميّز بمضامينه الديمقراطية والحرة.

فالأمهات في هذه المجتمعات يحملن أطفالهن حتى اللحظة التي يقرّر فيها الطفل السير على قدميه، والطفل يصل إلى مرحلة النظافة بصورة عفوية دون إكراه او تعنيف، والآباء يغدقون حبا على اطفالهم بلا حدود، ويمنحونهم حركة كاملة في مختلف مسارات حياتهم، اثناء الرضاعة والمشي وضبط الإخراج والفطام، وينظرون إليهم بوصفهم كائنات ملائكية ذات طابع قدسي.

ومن هذا المنطلق، وعلى أساس هذه النتائج التربوية لنمط التنشئة الاجتماعية الحرة، انطلق الباحثون لتفسير القدرة الهائلة للسكان الأصليين على تحمّل صدمة الحرب وويلاتها بدرجة لا مثيل لها، مقارنة بما مُني به الجنود اليابانيون من إصابات نفسية بالغة الأهمية والخطورة.[6]

---

[6]- وطفة علي أسعد، بنية وإشكالية التسلّط التربوي في الوطن العربي، ص ص 65- 66، نقلا عن كتاب:
Frank. R. Donovan, éducation structure ou éducation libérale (Paris : Robert Laffont, 1968), p.74.